من اراضيهم». ولاحظت الصحيفة ان حل المشكلة الفلسطينية سوف يساعد في التخلّص، نهائياً، من «الارهاب». وأكدت ان حركة المقاومة الفلسطينية تلعب دوراً هامّاً في النضال العربي المشترك ضد الامبريالية، «ويبقى الاتحاد السوفياتي صديقاً يُعتمد عليه للشعوب العربية، بمن فيها الشعب الفلسطيني»[١٠١]. وفي الفترة عينها، قال بودغورني، لدى استقباله الرئيس العراقي، احمد حسن البكر: «لا يمكننا ان نوافق على أعمال يلجأ اليها بعض العناصر الفلسطينية»[١٠٢]، والاتحاد السوفياتي «لا يتّخذ موقفاً ايجابياً منها، لأنها تسيء الى حركة المقاومة الفلسطينية، وانْ كان ذلك لا يبرر غارات اسرائيل الانتقامية على لبنان وسوريا»[١٠٣]. غير ان البيان السوفياتي ـ العراقي المشترك أكد الدعم المطلق للكفاح المسلّح الفلسطيني لاستعادة الحقوق المشروعة؛ واعتبر الجانبان، كذلك، «حركة المقاومة الفلسطينية جزءاً يرتبط، عضوياً، بحركة التحرر الوطني العربية»؛ وأعلنا الاستمرار في تقديم الدعم المادي والمعنوي والمساندة السياسية والمعنوية لهذه الحركة[١٠٤].

الّا ان موسكو لم تكن ترى ان في امكان الفلسطينيين لعب دور مستقل؛ بل كانت تسعى الى تحديد تمثيل بعض فصائل المقاومة. وعبر سياسة التسليح، عملت على تدعيم بعض الاتجاهات داخل الحركة الفلسطينية. وبالفعل، فقد كشفت صحيفة «انترناشونال هيرالد تربيون» الاميركية عن ان الاتحاد السوفياتي بدأ بتزويد «فتح» بالاسلحة والاموال والخبرات، وشملت شحنات الاسلحة التي كانت تصل، تباعاً، عبر ميناءي البصرة العراقي واللاذقية السوري، عدداً من القاذفات المضادة للدبابات، اضافة الى عدد من الالغام الارضية[١٠٥]. كما ذكرت صحيفة «الديلي تلغراف» اللندنية، ان الاتحاد السوفياتي شحن أكثر من ١٢ طناً من الاسلحة الى «فتح» وصلت الى سوريا، وسلّمت لمعسكر للفلسطينيين يبعد من العاصمة، دمشق، بحوالى أربعة أميال فقط[١٠٦].

هكذا، باتت مختلف الاجهزة الاعلامية السوفياتية تؤكد، خلال تلك الفترة، تطوّر التأييد السوفياتي لحركة المقاومة الفلسطينية. في هذا الصدد، علّقت اذاعة السلم والتقدّم على الاعتداءات الاسرائيلية، معتبرة ايّاها «حملة صليبية ضد كل الحركة الفلسطينية»، مضيفة ان «السوفيات يرحّبون، مع كل الاصدقاء المخلصين للشعب العربي الفلسطيني، بكل تدبير من شأنه توطيد قوى حركة المقاومة الفلسطينية»، التي تعتبر «في الصفوف الطليعية للنضال ضد العدوان الامبريالي في منطقة الشرق الاوسط»[١٠٧]. وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر)، قام وفد اعلامي فلسطيني، برئاسة ماجد ابو شرار، بزيارة للاتحاد السوفياتي، اجتمع، خلالها، مع رئيس قسم العلاقات الدولية في اتحاد الصحافيين السوفيات، فلاديمير رومانوف، وقيل ان اتفاقية اعلامية بين الطرفين قد تمّ مناقشة بنودها، سوف توقّع، لاحقاً، في بيروت[١٠٨]. وفي ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر)، عقد يفغيني بريماكوف مؤتمراً في بيروت لدعم الثورة الفلسطينية. وفي خطابه، أكد على وحدة القوى الفلسطينية، «ذلك ان غياب الوحدة داخل الحركة، والخلافات بين الدول العربية، هما، في الحقيقة، يؤلمان مشاعر الشعب السوفياتي، الذي يتعاطف، كلياً، مع الحقوق الوطنية الفلسطينية»[١٠٩].

براغماتية مستجدة

لا تتّجه النيّة، هنا، الى التقليل من أهمية الميل السوفياتي نحو «الحقوق الوطنية الفلسطينية»، بصفة عامة، والمقاومة الفلسطينية، على وجه الخصوص. فقط أظهرت البيانات المشتركة، التي أُصدرت بمناسبة اللقاءات مع ممثلي الدول الاخرى، هذا الميل بوضوح. فمثلاً، أورد البيان السوفياتي ـ الفرنسي المشترك، الذي أُصدر في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣، اثر زيارة